

الهوية الغذائية واختلالات المنظومة الصحية
دراسة أنثروبولوجية لواقع الاستهلاك الغذائي في المجتمع الجزائري
Nutritional identity and health system imbalances An
anthropological study of the reality of food consumption in
Algerian society

تاريخ النشر: 2026/04/30

تاريخ القبول: 2026/04/09

تاريخ الإرسال: 2024/03/03

بن مغنية قادة¹EMAIL : k.benmagnia@univ-mascara.dz جامعة معسكر ، الجزائر ،¹

الملخص:

يشكل الغذاء جزءاً مهماً من التشكل الهوياتي للأفراد والجماعات ، وموضوعاً سوسولوجياً وأنثروبولوجياً في غابة من الأهمية ، فالغذاء يتجاوز كونه مجرد فعل روتيني متكرر ضروري للبقاء ، عندما يصبح مرآة عاكسة لثقافة المجتمع وبمؤسساته التنشئية ، فهو ذو صلة متينة بالهوية ، ومن خلال المقولة الشائعة "قل لي على ماذا تتغذى أقول لك من أنت" يتجلى هذا البعد الهوياتي الديناميكي لنمط التغذية ، لارتباطه بصحة الأفراد وأسباب بقائهم واستمرار أدوارهم ، في هذه الدراسة الكيفية تم جمع المعطيات عن طريق الملاحظة في الحياة اليومية ضمن ما يعرف بالتجذر النظري عند أستروس ، وتبين النتائج أن الهوية الغذائية المتشكلة تؤثر في صحة الأفراد وذلك من خلال الأسرة والجندر وثنائية الريف والمدينة والعادات والتقاليد والبناء الثقافي ، فالسمنة والسكري والسرطان لم تعد مشكلات فردية وإنما أصبحت ذات أبعاد مجتمعية مرتبطة بالتغير في الهوية الغذائية ، وعليه نستخلص بأن الاختلالات الصحية في المجتمع لها صلة بالممارسات الغذائية ، فجن بذلك نقف أمام تغير على مستوى القيم الاستهلاكية وتمثيلات الأفراد للصحة والغذاء عبر مقاومة واضحة لكل ما يشكل خطراً محدقاً بالصحة والعافية .

الكلمات المفتاحية: التغذية: الهوية: الثقافة: الاستهلاك: المرض

المؤلف المرسل: بن مغنية قادة ، الإيميل: k.benmagnia@univ-mascara.dz

Abstract:

The nutrition constitutes a significant part of the identity of individuals and groups, and is a subject of immense sociological and anthropological importance, Food transcends being merely a routine, repetitive act necessary for survival, it becomes a mirror reflecting the culture of society, the common saying, "Tell me what you eat, and I'll tell you who you are," reveals this dynamic identity dimension of dietary patterns, its connection to individual health, and the continuation of roles. In this qualitative study, data was collected through observation in daily life, The results show that the formed dietary identity influences individual health through family, gender, the rural-urban dichotomy, , traditions, and culture, Diseases are not individual problems but have acquired societal dimensions linked to changes in dietary identity, Therefore, we conclude that health imbalances in society are related to dietary practices. and individuals' perceptions of nutrition and health.

Keywords:. Nutrition, identity, culture, Consumption , disease

1. مقدمة:

يزداد نمط التغذية في المجتمعات المعاصرة ارتباطا بتمثيلات الأفراد للصحة ، فقد ساهم تقدم المعارف الطبية في تعزيز الارتباط بين التغذية و العافية ، فألقيت التهم على أنماط الإنتاج المعاصرة في مجال لزراعة و الصناعة بأنها من وراء الارتفاع المقلق للأمراض المزمنة كالسرطان و السكري والسمنة ، فادى ذلك الى تنامي الخوف من المرض والعمل على استحداث ميكانيزمات دفاعية تتمثل اغليها في إتباع الحميات، والامتناع عن التغذية السيئة التي تحددها المعارف الطبية، و بالتالي البحث عن أنماط التغذية الأكثر صحية



لتفادي الإصابة بالمرض المزمن، مما فتح امام السلطة الطبية مجالات أوسع للتدخل اجتماعيا، من خلال الربط بين الغذاء والمرض و العافية، فاليوم لا يسعى الأفراد خلف الأكل لسد الجوع مثل ما كان الأمر في الماضي سواء في مجتمعاتنا التقليدية او على في أوروبا في مرحلة الارستقراطية و بعدها البورجوازية التي انفتحت على الغذاء بشكل واسع، بل دفع الوعي المتشكل الذي ساهمت فيه المعرفة الطبية ووسائل الاعلام و شبكات التواصل الاجتماعي بالأفراد الى تنميط أكثر لما يتغذون عليه يوميا و التحلي بالحذر في هذه العملية لتفادي التغذية السيئة متأثرين بما يصدر عن المعارف الطبية من معلومات، وهو ما يساهم في تحديد هويتهم، أوبمعى اخر"قل لي ما تتجنب أكله اقول لك من انت"، هذه الهوية الجديدة التي يكتسبها الفرد لا تحددها الاطر الكبرى فحسب إنما نمط الغذاء هو ما يساهم أكثر من غيره في بقاء فرد سليم من الأمراض، معافي يؤدي أدواره الاجتماعية. وفي هذا السياق تتقاطع الهوية الغذائية للفرد بالموروث الديني والثقافي والوضعية الاقتصادية و السياسة العامة في المجتمع، ما يجعلنا نميل في هذه الدراسة الى البراديغم الثقافي في الانثربولوجيا باعتبارها النموذج النظري الأقرب إلى تفسير علاقة الهوية الغذائية بالصحة العامة، بعيدا عن التطورية التي لا يمكنها تقديم الكثير في مسألة الهوية الغذائية التي يربط فيها التوارث الثقافي بالواقع الاجتماعي المتشكل باستمرار، فالعودة إلى أنماط الغذاء القديمة المتوارثة صار خيارا تتبناه و ننصح به الأنظمة الصحية، للحد من تنامي الأمراض المزمنة، وهناك من يبحث في أساليب التغذية في الثقافات الأخرى هروبا من المضاعفات الخطيرة للتغذية المعاصرة على الصحة العمومية،

ما يشغل اهتمامنا في هذه الدراسة هو التغير في أنماط التغذية على غرار ما يحدث من تحولات في الهوية الغذائية في المجتمع الجزائري وذلك بفعل تنامي الهاجس الصحي والخوف والقلق المتزايد من الإصابات بالمرض المزمن الذي لا يزال يشكل تحديا كبيرا في اختيار نمط الغذاء المناسب، فهناك تهم باتت موجبة أكثر من أي وقت مضى إلى الغذاء كمتسبب رئيسي للسرطان، مثل الاستهلاك المفرط للمنتجات المصنعة على رأسها لمشروبات والعصائر والحلويات والزيوت المهدرجة والخبز واللحوم المصنعة والأغذية الجاهزة التي عززت مكانتها في نمط الغذائي للأفراد بسبب الظروف الاقتصادية

والاجتماعية التي مرت بها الجزائر في العقود الأخيرة، ما أدى بدوره إلى تلاشي قيم استهلاكية كانت موجودة وظهور قيم أخرى لم تكن لتتواجد لولا الآثار العميقة التي تركتها الأوضاع الاقتصادية و المعيشية للسكان في الأرياف والمدن، مما يجعلنا نتساءل حول ما إذا كان للتغير في أنماط الغذاء اثر مباشر على الهوية، وكيف تشكل هذه الأخيرة بفعل التغير في أنماط التغذية للأفراد وما طبيعة التشكل الهوياتي الناتج عن التغير في نمط الغذاء وعلاقة ذلك بتمثلات الصحة والعافية في مجتمع بات يسجل مستويات خطيرة من الإصابات بالمرض المزمن.

2 الإطار المنهجي للدراسة

لا شك أن الاهتمام بالتغذية من قبل الدارسين لمسألة الهوية والانتماء في العلوم الاجتماعية لا يزال حديثا، وذلك انطلاقا من كونه أحد الأسس الوجودية التي تبنى عليها المجتمعات وتصنع الاختلافات، ما يتطلب التعامل معها بحذر كبير من حيث تبني الخيارات المنهجية والأدوات البحثية المناسبة التي تصل بنا في النهاية إلى تحقيق النتائج الامبريقية الكفيلة ببناء نموذج تحليلي يفسر لنا العلاقة الوثيقة بين الغذاء كفعل اجتماعي والهوية الاجتماعية في جوانبها الديناميكية (Haziza، 2019) من جهة وتمثلات الفاعلين للصحة والعافية، فلاشك أن بناء نموذج نظري لمسألة في غاية من الأهمية من الناحية السوسيو-انثربولوجية كالهوية الغذائية يتطلب التحلي بالحذر واليقظة نظرا للتداخل والتشابك بين المتغيرات المشكلة للظاهرة، فالغذاء ليس مجرد فعل لسد حاجة بيولوجية (الطعام) وإنما يتجاوز ذلك ليلعب دورا أساسيا في بناء هوية الأفراد والجماعات، ما يجعل البحث في مسألة الهوية بحاجة لضبط المفاهيم وتحديد المقاربات، حول ما اذا كان الأمر يتعلق بالهويات الجماعية بأشكالها المتعددة في الانثربولوجيا كالهوية المتشكلة التي تفتح المجال لبروز هويات أخرى كالهوية المختارة والهوية الموروثة والمفروضة وغيرها مما يجعل من العمل الميداني أمام وضعية شديدة التعقيد تفرض خيارات دون أخرى، فالاستجابة لرهانات الواقع و الكشف عن التفاصيل الرمزية وتحديد معانيها سوف لن يخرج دون شك عن نطاق العمل النوعي الذي يأخذ بعين الاعتبار تمثلات المبحوثين .

بالنسبة للأنثربولوجيا لا تشكل الهوية مفهوماً محدداً، بل يظهر هذا المفهوم جنباً إلى جنب مع قضايا أخرى تتعلق بالانتماء بمختلف أشكاله وب حياة الأشخاص وبالطقوس التي تحدد دورات الحياة،، اما فيما يتعلق بالهوية الغذائية للمجتمعات فهذا يعني من الناحية المنهجية الاعتناء بخطابات الفاعلين وتمثلاتهم للأكل وعادات التغذية وعلاقاتها بدورة الحياة والطقوس، اذا فنحن أمام فعل اجتماعي لا يقل أهمية من الناحية الانثربولوجية ألا وهو الفعل الغذائي، وأشكال التنشئة الاجتماعية والقيم السائدة التي توجه أنماط الاستهلاك الغذائي وتأثيرها على صحة الفرد وبناء تمثلاته للعافية، محاولين بذلك تجاوز الهوية كمفهوم عادي لتتناوله بشكل أوسع، فالاهتمام بالغذاء كأحد أسس الانتماء يخرج البحث الانثربولوجي في مسألة الهوية من نطاق العادي ويرقي به إلى المتشابه والمعقد ومتعدد الأبعاد، فمسألة الهوية تجدر الإشارة إلى أن الابحاث الانثربولوجية في مسألة الهوية و الغذاء عززت من تواجدها كنتيجة لمتطلبات الواقع الاجتماعي في ظل التوسع الراسمالي وافرازات العولمة وتعزيز تواجد الصناعات الغذائية وهيمنة الشركات متعددة الجنسيات على غذاء وصحة الملايير من البشر على اختلاف ثقافتهم من جهة والتنوع الذي أصبح الميزة الأساسية للثقافات المحلية من جهة أخرى، ما أدى إلى تشعب الاهتمامات البحثية للأنثربولوجيا، منها ما يتعلق بفهم الغذاء والصحة في إطارهما الاجتماعي والثقافي وعلاقته بالبناء الهوياتي وهي بذلك تستعين بالأدوات المنهجية والنماذج النظرية من اجل فهم واقع شديد التعقيد، بحاجة إلى جهود امبريقية لتفكيك منظومته الرمزية، فمن خلال استعمال الملاحظة و"المعايشة" اليومية للأحداث عبر رصد مختلف الوضعيات المناسبة التي تهمنا في موضوع الهوية الغذائية ومن خلال تفكيك خطابات المبحوثين، وتحليل تمثلات الأفراد وسنحاول بآء سياق نظري نبرز من خلاله مكانة الثقافة كعنصر مؤثر في السلوكات الغذائية والصحية السائدة في المجتمع الجزائري.

3.انثربولوجيا التغذية

شكل اهتمام المفكرين بالهوية عبر التاريخ نقطة خلاف خاصة فيما يتعلق بالصراع حول العرق واللون والدين وذلك بين مختلف النماذج الفكرية منذ نهاية القرن الماضي، لكن متغيرات أخرى ذات أهمية سوسيو-انثربولوجية باتت تشكل هوية الافراد

منها التغذية وعلاقة الأفراد بالطعام، فقد غابت الهوية الغذائية عن النقاشات السياسية والأكاديمية، بالرغم من كونها نقطة تلاقي بين الشعوب ووسيلة اتصال وتعارف و تقارب فقد حلت خلافات تاريخية وحروب طاحنة على طاولة الأكل بين زعماء القبائل المتنازعة كما حلت خلافات عرقية بفضل التقارب في أنماط الغذاء وقد عرف في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية بأن الخلافات الأسرية والتجارية وحتى السياسية تنتهي حول "الوليمة" أو "المأدبة" أو "العرضة"، وعلى حد تعبير الساسة في تاريخ فرنسا فان السياسة قضية مائدة، ذلك لأن المائدة في حد ذاتها شكلت منذ عهد النبوات رمزا وإنما شكلت مكانا تلتف حوله اختلافات الرأي والمعتقد، وحتى الثقافة، وتظل بذلك مائدة الرحمان التي أنزلت من الجنة على نبي الله عيسى، بطلب من الحواريين احدى الشواهد التاريخية لمكانة الغذاء في بناء المقدس فهو يحض بالقبول الاجتماعي وأحد أشكال التنوع على اختلاف الانتماءات والمعتقدات والادبيولوجيات، فالغذاء يجمع الكل ولا يفرق وقد ظهر ذلك في تعاليم ديننا الحنيف ذو البعد الحضاري الذي جعل من الطعام وسيلة للتواصل الإنساني وتذليل التفاوت الطبقي، فقد أحل الإسلام أكل ذبائح أهل الكتاب من النصارى واليهود المشككين لأغلبية سكان الأرض بالرغم من الاختلافات الجوهرية بين الديانات، كما أبرز محمد رسول الله مدى أهمية إ طعام الطعام في الإسلام واعتبره من أكثر الأعمال الصالحة التي يتقرب بها المؤمن إلى الله، كما أن هناك سورة كاملة في القرآن الكريم وهي المائدة تشرع وتنظم للمسلم عاداته و ممارساته الغذائية وفق ما تتضمنه المصلحة الفرد والجماعة، كما ورد في الكتاب الحكيم و السنة النبوية الكثير من النواهي عن الإسراف في الأكل ولبذخ والتبذير لما له من أثار سلبية على صحة الفرد وسلامته الجسدية والذهنية وطباعه وسلوكياته.

اختلفت اهتمامات المفكرين الذين انشغلوا بمسألة الهوية حول المكانة الحقيقية للغذاء في تحديد انتماء الأفراد إلى جانب العرق والدين واللون، وتعد البيولوجيا وعلوم الزراعة والاقتصاد والتجارة من أهم العلوم التي منحت للغذاء مكانة في حياة الإنسان، اما بالنسبة لanthropologie و علم الاجتماع و علم النفس، فقد شكل الغذاء موضوعا معقدا في غاية من التشابك من الناحية المعرفية، فقد حضي باهتمام العلماء العرب

والمسلمين الذين تركوا لنا إرثا غزيرا من بينهم العلامة عبد الرحمان ابن خلدون، الذي يقول في مقدمته الشاملة في علم العمران البشري وبالتحديد في اختلاف أحوال العمران بين الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك في الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم أن الفرق بين الأقاليم يكمن في الخصب والخضرة ومستويات الزراعة وإنتاج الغذاء، ووفرته وطرق استهلاكه، وأن في هذا الاختلاف أثر على عادات الناس ومصائرهم وهو بذلك يشير إلى مدى ارتباط المجتمعات بأنماط التغذية وأثرها على طباعهم وأحوالهم وصحة الأبدان والأخلاق العامة وحتى على الملك وشؤون السياسة، بحيث يعتبر ابن خلدون أول من اهتم بمكانة نمط التغذية في التنشئة الاجتماعية، ونجده في الجزء الخامس من المقدمة يذكر اختلاف أحوال العمران والخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من مفسدات للأجساد ويعني بها الأمراض التي يتسبب فيها فساد طبائع الناس في الغذاء، وهو بذلك يسير على خطى من سبقوه من حكماء العرب الذين اثبتوا أن جوف الإنسان مكمن لكل داء، كما يوضح ابن خلدون الفرق الكبير بين أحوال الحضرة والبدو في أنماط الغذاء فيقول "وتجد مع ذلك الفاقد للحبوب والادام من أهل القفار أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم من أهل الثلول المنغمسين في العيش فآلوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والادراكات" (عبد الرحمان، 808/732هـ) فالغذاء حسب ابن خلدون يتجاوز حدود الجسد ليصبح ذات أبعاد هوياتية مبرزا كيف يتجاوز الغذاء حدود البدن ويؤثر على السلوكات بل أبعد من ذلك فهو يؤثر أيضا على المنظومة الأخلاقية السائدة في المجتمع.

نفهم من ابن خلدون أن نمط الغذاء له علاقة وطيدة بمفسدات الأخلاق والطباع والخروج عن المعايير، وأنه يمكن أن يشكل مصدرا للمرض والانحراف عن المعايير حسب تالكوت بارسونس، الذي يرى أن الانحراف لا يمكن فهمه إلا على أساس فهمنا لمنظومة المعايير السائدة وبالتالي فإن المرض حسب هو شكل من أشكال الانحراف ويعتبر المريض منحرفا عندما يفقد دوره الاجتماعي فحسب بارسونس فإن الانحراف يتواجد في مركز مفهوم الفعل الاجتماعي من جهة والأنساق الاجتماعية من جهة أخرى وفي شكل من الأنماط الثقافية المشتركة التي تشكل جزءا من نظام للتفاعل الاجتماعي الذي يبقى دائما

معياريًا. بمعنى وجود معايير مشتركة لما هو "مقبول" أو السلوك المقبول الذي يخضع للمتطلبات الاجتماعية المعيارية و أي شكل من مآومة المعايير يعتبر انحرافا عليها لانه فاقد لعنصر التوافق المعيارى الشائع فى المجتمع،وعليه فان حسب بارسنس فان فهم الانحراف لا يمكن الا عبر تطابق السلوكات مع منظومة المعايير السائدة (Parsons, 2005)وبالتالى فإننا نلمس من خلال ذلك التقارب الملحوظ بين بارسونس وبين خلدون فى هذه المسألة الجوهرية،ذلك لكون الغذاء يصبح احدى المعايير التى يمكن من خلالها فهم المتغيرات التى تتحكم فى ظاهرة الانحراف بمفهومها الشامل،وفى مجال الصحة بالتحديد .

يتفق الانثربولوجيين من ذوى التوجه البنىوى أن الإنسان هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة ،ولا يمكن فصله عنها إلا بطريقة مصطنعة. وأن تنوع الثقافات هو أصل الحضارات و على أن التغذية وجدت من اجل تلبية الحاجة الأولية للإنسان ؛فهم فى هذه الحالة أمام تداخل بين الطبيعة والثقافة،فى هذا السياق أعطى كلود ليفس ستروس فى كتابه الأسطورة والمعنى أهمية بالغة لجذور الطبخ وإعداد الغذاء لدى الجماعات البدائية فى امريكا الجنوبية اعتبارا كما يقول مارسيل موسى أن الغذاء حاضر فى تاريخ الفرد والجماعة فهو يبدأ من احتفالات الميلاد وصولا إلى ولائم الجنائز (GARINE, 1988)،ليس بإمكان للجنس البشرى العيش بدون التنوع الداخلى،فالبشر جزء لا يتجزأ من الطبيعة،ولكون الإنسان يخضع لقوانين علم الأحياء. فالطبيعة هى من يتحكم فى مجرى حياته من الولادة والطفولة إلى الشيخوخة والموت. "،من جانب آخر يرى ليفس ستروس بان تنوع الثقافات ضرورى لوجود الجنس البشرى وهو المحيط الطبيعى المتكافى مع الطبيعة البشرية وأن العناصر المكونة للثقافة ليست نتاجا لمجموعة متراكمة ومتفاعلة من الظروف فاقدة للتماسك بل تشكل نظامًا قائما يتصف بخاصية التوازن بين نظم التفكير عند البشر والمحيط البيئى الذى يتواجدون فيه؛ وبالتالى فإن علاقة الثقافة بالطبيعة المحيطة يتمتع باستقرار نسبى بمرور الزمن (Terry, 2010)،فاغلب الحضارات القديمة نشأت و تطورت فى تكافى شبه كامل بين الثقافة والطبيعة،ولعل هذا التكافى هو ما يفسر الانتقال الذى حدث فى تاريخ البشرية من الترحال إلى الاستقرار ومن القطف

والصيد إلى تدجين الحيوان والنبات وظهور الزراعة، فالتأقلم والتطور يحدثان عبر فترات زمنية تتوفر فيها أسباب البقاء بالدرجة الأولى ثم تتوفر بعد الظروف المناسبة لانتقال المجتمعات من حالة إلى أخرى أكثر تعقيدا، ساهمت فيها أساليب الطبخ.

تقول مارغريت ميد أن العادات الغذائية هي خيارات يقوم بها الأفراد أو الجماعات كاستجابة للضغوطات الاجتماعية والثقافية الغرض منها الانتقاء والاستهلاك واستعمال جزء من الموارد المتاحة، ما يشكل فجوة بين التقييم الثقافي والحاجة الفيزيولوجية وهو ما ينفرد به الإنسان عن غيره ويحدد أصل وجوده (GARINE, 1988)، فقد ظل مفهوم الهوية الغذائية في الكتابات المعاصرة مرتبطا بالمقومات التنشؤية التي تلخص في الدين ومنظومة القيم، فنمط التغذية يصنف ضمن المقومات الأساسية كالانتماء إلى الوطن والحدود الجغرافية والدين والعرق، لكن الاهتمام بالهوية الغذائية لم يرى النور إلا في السنوات الأخيرة على يد كوكبة من علماء الانثربولوجيا والاجتماع في أوروبا والولايات المتحدة وذلك كنتيجة للتغير الذي عرفته هذه المجتمعات، فمذ سنوات الستينيات من القرن الماضي عرف المجتمع الأمريكي تصاعدا للصراعات الاجتماعية المتعلقة بالهوية، وطرحت آنذاك القضية الأفرو-أمريكية للنقاشات بشكل اثر على النسيج الاجتماعي و انتج واقعا صراعيا لا يزال قائما إلى يومنا هذا، فقضية اللون والعرق وعلاقتها بالهوية لم تخرج عن نطاق النقاشات الأكاديمية في العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة بل شكلت منعرجا في الكثير من الدراسات النقدية التي اعتمدت على اللون والعرق كمتغيرات لفهم الصراعات الهوياتية التي لاتزال احدى سمات المجتمع الأمريكي، ومنذ سنوات التسعينيات غدت مشاكل الهجرة في أوروبا الكثير من الدراسات السوسيولوجية حول الهوية والانتماء وفي هذا الصدد تقول كاثرين هالبرن، إن الهوية في المجتمعات الأوروبية وخاصة في فرنسا أصبحت ضرورية سواء في الأبحاث المتعلقة بالهجرة أو القومية أو الدين أودراسات النوع الاجتماعي والقضايا المتصلة بالعرق والتي أدت إلى ظهور العديد من الأعمال منذ نهاية الستينيات، مع وجود "فجوة كبيرة بين البليوغرافيات الأنجلوسكسونية ونظيرتها الناطقة بالفرنسية (Haziza, 2019)

4. التحول الريفي وأثره على الهوية الغذائية في الجزائر



تبيّن نتائج التقرير الإقليمي الخاص بالأمن الغذائي والتغذية في منطقة الشرق الأدنى وشمال أفريقيا أدلة جديدة بخصوص رصد الاتجاهات في مجال الأمن الغذائي والتغذية في إطار خطة عمل التنمية المستدامة لعام 2030. أن الإخفاق في الحد من الجوع في المنطقة يرتبط ارتباطا وثيقا بالتغير الاجتماعي، حيث تشير التقارير الخاصة بمنظمة التغذية والزراعة الى انه ثمة علاقة وطيدة بين مشكل الأمن الغذائي والنمو الاقتصادي والتحول الريفي. وهو يوضح أن النمو الاقتصادي في منطقة الشرق الأدنى وشمال أفريقيا كان بطيئاً مقارنة بمناطق العالم الأخرى، ويأّن التحول الريفي يمكن أن يحسّن معدلات النمو ويخلق فرص عمل لائقة من خلال تعزيز الروابط بين الريف والمدن، وتحسين الإنتاجية الزراعية، وتوسيع الاقتصاد غير الزراعي في المناطق الريفية (fao، 2019). وعليه فإن التحول الريفي الناجم عن موجات النزوح التي عرفتها المنطقة كان له اثر مباشر على نمط التغذية فالهوية الجديدة للأفراد القادمين من الأرياف المتشكلة في المدن الكبرى أدت إلى ظهور أنماط تغذية كالميول إلى البروتينات التي تنتجها المساحات الفلاحية والصناعية الكبرى، كاللحوم البيضاء واللحوم المصنعة والسكريات والمشروبات الغازية، باعتبارها أغذية تعبر عن انتماء جديد يجسد مظاهر الحياة في المدن ولم يكن له وجود في الريف، بالإضافة إلى الوفرة التي تقدمها موانئ الصيد من الأسماك والقشريات التي وصلت إلى موائد سكان الأرياف في الهضاب العليا وحتى الصحراء بفضل حركة النقل والتجارة، مما اثر بشكل كبير على العادات الغذائية في الأرياف، وأدت إلى تراجع بعض أصناف الطعام المعتاد خاصة منها التي تنتجها الأسر عبر توزيع للعمل حسب الخبرة والسن، حيث يتطلب تحضير الكسكسي في المناطق الريفية توزيع الأدوار بين النسوة كل حسب خبرتها في المجال، منهن من تتمن تحويل السميد إلى كسكسي وتسمى ب"الفتالة" وأخريات تتكفلن بوضعه على "الكسكاس" لينضج وتسمى بعملية "التفوار"، ثم يأتي دور المكلفة بتليين الكسكس، بينما تقوم أخريات بتحضير المرق، هذا النوع من التضامن العضوي أصبح مفقودا في المرحلة الأولى والمهمة وهي تحويل السميد الى كسكسي أو ما يسمى ب"الفتيل" لأن الصناعة الغذائية عوضت طقوس تحضير الكسكسي من الناحية الوظيفية، ولم يعد لهذه الطقوس وظيفة، ما أدى بالصناعات الغذائية إلى سد الفراغات

الوظيفية على مستوى النسق الأسري في الأرياف ولم تعد المرأة الريفية تحضر الكسكسي بالطريقة التقليدية التي كانت عليه في الماضي ونفس الأمر امتد الى تخوم المدن المكتظة بالوافدين من الأرياف.

لم تدم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الموروثة عن السنوات الأولى للاستقلال طويلا في المدن الجزائرية بسبب الاختلالات التي حدثت نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات الناجمة عن انهيار أسعار النفط وانهيار الإنتاج الريفي بسبب موجات الجفاف وتضخم المدن بالسكان، فقد ساهم التزايد السكاني الكبير في المدن الجزائرية منذ سنوات السبعينيات في توجه الأسر نحو أنماط من الغذاء الأقل تكلفة و ذلك نظرا للظروف الاقتصادية السائدة الى غاية نهاية القرن الماضي فقد ادى اثر التراجع الكبير في أسعار النفط إلى تأثير تكاليف الغذاء في ظل حدة الأزمات الهيكلية للاقتصاد المخطط و ما نجمة عنه من أثار اجتماعية كالبطالة جراء تسريح العمال، هذه الظروف من دون شك سيكون لها اثر مباشر على نمط الغذاء للجزائريين في هذه المرحلة الهامة من مراحل التغير الاجتماعي، فقد ادى ارتفاع نسبة البطالة بين الشباب الى تراجع معدلات الزواج وتفاقم أزمة السكن مما ساهم في بروز ممارسات تغذوية لم تكن موجودة في السابق ، فتراجعت النوعية لحساب الكمية ونعني بذلك الابتعاد التدريجي عن الغذاء الصحي و التوجه نحو أنماط غذائية تم استحداثها بفعل وأصبح لسد الرمق الهدف الأساسي للتغذية في المجتمع الجزائري، فقد توسع الطلب على الغذاء الفقير بالبروتينات و المعادن لصالح ما يسميه البعض بالأكلات الشعبية البسطة المكونة أساسا من الباقوليات والحبوب، وفي هذا الإطار تشير التقارير إلى أن ارتفاع الإقبال على الحبوب في المجتمع الجزائري هو وليدة الظروف الاقتصادية الصعبة ولعلاقة له بالموروث القيمي، وهنا نعود بالذكر إلى استهلاك الفرد الجزائري من اللحوم حيث عرف منحنى تنازلي حاد بينما في المقابل عرف استهلاك الحبوب منحنى تصاعدي وهو ما يزال كذلك حتى الوقت الحالي .

5. الأسرة بين استهلاك الغذاء و انتاج الصحة

لاشك أن المسألة المطروحة للنقاش في هذا السياق ليست متعلقة بطبيعة ما تستهلكه الأسرة من منتجات زراعية على اختلاف مصادرها وتركيباتها وإنما الأمر يتعلق من

الناحية السوسيو-انثربولوجية بالتنشئة الاجتماعية الغذائية كمفهوم، تتداخل فيه العديد من الحقول المعرفية في علم الاجتماع من بينها تلك التي تهتم بالطفولة تساهم في تطوير منظورات حول "الاكل" في تمثلات الأطفال واخرى تهتم بالأبعاد الاجتماعية والثقافية والرمزية والتخيلية والمعرفية والجسدية والعاطفية والتنظيمية لـ "الأكل" وتأثيرها على تجارب الأطفال؛ كما يهتم علماء الاجتماع المتخصصين في السوق، الذين يفهمون آثار "الاستحواذ" وتسليع المذاق على أنماط استهلاك الأطفال والمراهقين وثقافتهم، كل هذه العناصر، تتداخل من أجل تقديم تعريف واضح للتنشئة الاجتماعية الغذائية باعتبارها سيرورة، أو بالأحرى نتيجة لتلاقي هذه المنظورات المتعددة (Dupuy, 2013)، فقد ارتبطت التنشئة الغذائية بتربية الطفل على العادات المتوارثة ليس من ناحية نوعية الاكل بل ايضا الممارسات الروتينية وطقوس الاجتماع حول المائدة المشحونة بالرموز والمعاني، التي ترفض الاختفاء أمام القيم الفردانية التي باتت تثبتها الممارسات الغذائية في الاسرة الجزائرية التي أضحت تشجع الاكل السريع والسندويشات، حتى طقوس تناول الطعام تتلاشى، فالمزيد من الأطفال يعودون من المدرسة إلى منازلهم، ويأخذون طعامهم من الثلجة، ثم يجلسون لمشاهدة التلفاز.

تعتبر الطرق التي يتقاسم بها أفراد الأسرة الطعام عن طبيعة التنشئة التي يتلقونها، فمواعيد الغذاء هي للتلاقي حول المائدة الواحدة، وليس بالضرورة حول ما تحتويه، وهو ما يحدد نمط التغذية السائد وكيف تم بناءه اجتماعيا وما علاقته بالمرض والعافية، وبالتالي فان الاختلافات المتعددة على مستوى الأنساق الاجتماعية لا يمكن تجاهلها لكون أنماط التغذية ما هي سوى نتاج لتغير اجتماعي وديناميكية مستمرة التشكل، وبالتالي فان بناء وتشكل النمط الغذائي مرتبط بشكل كبير بطبيعة الأنساق ومكانتها ودورها في التنشئة الغذائية والصحية للفرد، فمن الناحية الانثربولوجية تلعب الأسرة دورا مهما كمنتج للصحة من الناحية الدوائية والعلاجية والوقائية، وهي من خلال فرض أصناف من الغذاء وتمنع اخرى تساهم في بناء الهوية الغذائية ويحدث ذلك عبر الممارسات اليومية للوقائية والعلاج من المرض، وفي هذا السياق جد المرأة تلعب دورا رئيسيا في وقاية أفراد الأسرة من الأمراض، كتفادي الأطعمة الضارة وتكييف برامج الطبخ

اليومية مع الوضعية الصحية في حالة المرض من خلال رسم خطط علاجية عبر طهي الأطعمة المناسبة واحترام الأوقات الخاصة بالدواء، وهي ممارسات حاضرة في العمل المنزلي الذي تلتقي فيه الرعاية الصحية والتغذية المناسبة، كما تتجاوز الأسرة وظيفتها المنزلية لتمتد إلى المرافقة التامة للمريض في المؤسسة الاستشفائية من خلال إعداد الطعام المناسب والحرص على تغذية المريض جيدا لبلوغ العافية وهي خاصية يتميز بها المجتمع الجزائري وهي امتداد دور الأسرة العلاجي والوقائي حتى داخل المستشفى، وخلال الملاحظة الانثربولوجية يتضح وجود علاقة وطيدة بين تمثيلات الأفراد لصحة الجسد من جهة وإلى نظامهم الغذائي المتبع والمنتج من طرف الأسرة، فالمرأة لم تعد تلك التي تحول الثمار المقطوفة والفرائس المصطادة إلى غذاء قابل للاستهلاك، فهي تتحمل أيضا مسؤولية صحة الأبناء والزوج من خلال نمط الغذاء المتبع، يقي من الأمراض المزمنة ويساعد في تجاوز الأمراض الموسمية، وانطلاقا من كون الأحداث المتعلقة بالصحة والمرض في حد ذاتها تنتج العلاقات الأسرية (Genevieve & Mebtoul, 2010)، فإن نمط التغذية المتبع يمكن أن يكون له دور أساسي في تحديد طبيعة العلاقات الأسرية.

عندما تلتقي التغذية بالرعاية الصحية الأسرية يتجلى لنا بوضوح التشكل الثقافي الفريد من نوعه الذي يتميز به المجتمع الجزائري، فاختيار أصناف الطعام في حالة إصابة أحد أفراد الأسرة بمرض يشكل محورا للتفاوض والتسوية، من خلال التحكم في الكميات والمقادير بشكل يسمح للمريض بالحصول على تغذية تتلاءم والخطة العلاجية الموصوفة من طرف الطبيب، وفي هذه الوضعية تنفتح الأسرة على الآراء المتعددة، من أجل الحصول على النتائج الملموسة، وبالتالي يكون التوصل لقبول النمط الغذائي مرتبطا بعدة معايير، من بينها طبيعة الأسرة، ففي حالة تواجد المرأة في أسرة ممتدة فإنها تتكيف مع الأنماط الموجودة بل المفروض، لأن الزوج اعتاد عليها وفي هذا الإطار يقول بعض من حديثي الزواج أنهم اعتادوا على أطباق الأمهات، ويصعب الاستغناء عنها لأنها تعتبر امتدادا لشكل من أشكال الرعاية الغذائية وللوقاية الصحية، خاصة إذا تعلق الأمر بالعادات الغذائية الخاصة بكبار السن الذين يعانون من الأمراض المزمنة، لكن في المقابل وعلى مستوى الأسرة النواة نجد الزوجة تحاول في بداية تواجدها في أسرتها الجديدة فرض أطباق أخذتها

عن أمها ونجدها محل مقاومة من طرف الزوج، بحيث تؤكد بعض من الفتيات حديثات الزواج أنهن يعارضن بشدة العادات الغذائية لأزواجهن وذلك بسبب الممارسات التي اعتدن عليها منذ الصغر، فممنهن من تحبذ البهارات وأخرى تقلل من استعمالها وننفس الشيء بالنسبة للزيوت والشحوم وأنواع اللحوم والخضروات، وفي الغالب تحاول الزوجة إقناع زوجها بقبول الأطباق التي تعلمتها من أمها على أنها أفضل الأطباق من الناحية الصحية كالشربة البيضاء والتخلي عن الحمراء مثلاً" متخذة بذلك الجوانب الصحية لتبرير مواقفها..

6. التغذية والصحة وعلاقتهما بالجنس

ارتبطت علاقة الجنس بالتغذية في المجتمع الجزائري بالتقسيم الجنسي للعمل منذ المرحلة التي ساد فيها الاقتصاد الرعوي والزراعي، فالرجل تولى رعاية الماشية وزراعة الحبوب، بينما المرأة تساهم في جمع الثمار في حقول الزيتون وحصاد القمح، لكن دورها يمتد إلى طبخ الثمار وتحضير الغذاء وجعله قابلاً للاستهلاك من قبل أفراد الأسرة، وتشير الدراسات الانثربولوجية إلى أن هذا النوع من تقسيم العمل يعود إلى الهيمنة الذكورية في شكلها البدائي منذ الجماعات الأولى التي ظهرت في شمال إفريقيا وفي مناطق أخرى من العالم، حيث اقتصر عمل الصيد والقطف على الرجل مما جعل من امتلاك السلاح وما يترتب عنه من رأسمال حكراً عليه، وفي هذا السياق ترى باولا تابيت p.Tabet بان استعمال الرجل للسلاح مكنه من السيطرة على تراكم رأسمال ذو أهمية من الناحية الرمزية (Fournier, Julie, Nathalie, & Priscille, 2015)، فالسلاح كوسيلة للعنف مكن الرجل من الهيمنة بينما منع ذلك على المرأة، وهو ما يمكن ان يفسر بقاء السلاح في يد الرجل لدى قبائل الطوارق في الجنوب، قائماً في شكله الفلكلوري الذي يعبر عن الواقع الاجتماعي، ما جعل المرأة تحتكر الطبخ ودور إعداد أفراد الأسرة، وقد امتد ذلك إلى المجتمع التقليدي إلى ما يسمى اليوم بالعمل المنزلي الذي يعتبر غير مرئي invisible وعادي banale من الناحية السوسيولوجية،

عديد هي محاولات فهم العلاقة التي تربط نمط الغذاء في المجتمع الجزائري بالهوية ولعل الدراسة قام بها كمال شيخي ومارتين باديل Chikhi Kamet et Martine Padella من

أهم الدراسات الحديثة في الجزائر لفهم العلاقة المستجدة بين التشكل الهوياتي وتمثلات الأفراد للغذاء والصحة في مجتمع الذي يعرف تصاعدا مقلقا للأمراض المزمنة تزامنا مع التحول العميق في نمط التغذية وبالرغم من أنه ليس من السهل على دراسة واحد أو أكثر الاحاطة بجميع نواحي موضوع الهوية الغذائية في المجتمع الجزائري إلا أن ما تم التوصل إليه لحد الآن اظهر أهمية متغير الجندر بشكل أساسي في التعاطي مع مسألة التغذية والتغير الاجتماعي، فقد خلصت الدراسة المذكورة إلى أن المرأة في المجتمع الجزائري هي من قادت و لا تزال تقود قاطرة العصرنة الغذائية في المجتمع وهي من يساهم في تنشئة الأجيال وفق قيم غذائية تقوم على الحفاظ على الأطباق المتوارثة، التي لا تزال تقاوم موجة الانفتاح، من النواحي الثقافية والاقتصادية، كما تشير ذات الدراسة إلى أنه لا يمكننا الجزم بأن الثقافة الغذائية العصرية تنفذ إلى التقاليد الغذائية في الجزائر بطريقة خطية. لان المستهلك يبني هويته الغذائية الجديدة مرتكزا إلى عدة مرجعيات (chikhi & martine, 2014)، كما أن توجه المرأة نحو العصرنة الغذائية لا يزال يواجه مقاومة لدى الرجل الذي يبقى متمسكا بالنمط التقليدي، وهو ما فتح المجال أمامنا للتعلم أكثر باحثين عن متغيرات تتجاوز المعطيات السوسيو-ديمغرافية انطلاقا من كون مسألة الهوية الغذائية لا يمكن تحليلها حصريا بالاعتماد على المعطيات الكمية، وحتمية التركيز على كل ما يتعلق بالتمثلات والرموز التي تبني منظومة القيم السائدة والتي تظهر من خلال سيرورة البناء الهوياتي كيف انتقل الفرد في المجتمع الجزائري نحو نمط غذائي لآخر متأثرا بمتغير الجندر.

يتحول نمط الغذاء إلى نقطة صراع خاصة إذا تعلق الأمر بالتداعيات الصحية للغذاء لدى الأشخاص المسنين، حيث ترتبط التغذية بالبرنامج العلاجي وفق توصيات الطبيب، مما يفرض الصرامة في التعامل مع المكونات، مما باقي أفراد الأسرة القبول بنمط التغذية مبدئين بذلك تنازلات من احد طرفي العلاقة الزوجية لصالح الآخر وفي هذا الصدد يقول البعض نأته من الصعب في البداية إقناع الزوجة بأن الأطباق التي اعتادت تحضيرها في بيت والدها لا يمكن قبولها لان لأسباب صحية بينما في حالات أخرى يتقبل الزوج النمط الغذائي الذي تفرضه الزوجة لأنها غير مكلفة ماليا من جهة ولأن الزوج متفهم ،، لكن في

حالات أخرى يتشكل حول الغذاء نظام صراعي لا ينتهي من زوجين هندما يتمسك مل طرف بقيمه الغذائية وبعاداته الأسرية فيصبح الطبق اليومي محل مواجهات تصل الى الانفصال في بعض الأحيان، عندما يأخذ الغذاء بعدا رمزيا يدل على الهيمنة الذكورية من ناحية الزوج

7. اضمحلال التمايز الغذائي بين العادات المحلية في الجزائر

يعتبر الانفتاح من المفاهيم التي يمكن الارتكاز عليها لفهم العوامل التي تدخل في بناء الهوية الغذائية للفرد، وبالتحديد العوامل التي جعلت من المجتمع الجزائري مستقبلا ومنفتحا على الثقافات الأخرى، اذ تشير هنا الى الدور الهام للموانئ من الناحية الاقتصادية والتجارية ودور وسائل الإعلام من الناحية السوسيو-ثقافية كبوابات للانفتاح على العالم، مدركين مدى مساهمة هذه الأخيرة في تغير أنماط الغذاء للفرد الجزائري منذ القدم، ولا يزال الأمر كذلك إلى يومنا هذا، فقد ساهمت السياسات المتعاقبة الهادفة إلى تحقيق أكبر قدر من الانفتاح على الآخر في تغير عادات الأفراد وطبائعهم في مجال الغذاء فنشهد اليوم حضورا مهما لأصناف الغذاء الغربية في محلات الأكل السريع وأخرى من الشرق الأوسط تحضى بقبول واسع في أوساط الشباب بشكل سريع نظرا للتأثير الكبير لوسائل التواصل الاجتماعي، ويرى البعض بأن الأطباق التي تسمى بالعالمية سجلت مكانتها في المجتمع، مثل البترا الايطالية المنشأ وواسعة الانتشار في الجزائر، بينما يواصل طبق الطاكوس العالمي ومكسيكي المنشأ ويسجل الكباب والشوارما حضورهما في مطابخ البيوت والمطاعم، وهي كلها أصناف سريعة التحضير وتعتمد على مكونات متاحة للبسطاء وبالتالي فهي غير مكلفة، كما أن هذه الاصناف من الأطعمة ظهرت في وقت ساهم صعود مكانة المرأة وحضورها في الحياة المهنية من خلال الخروج إلى العمل والولوج إلى الفضاء العمومي، مما جعل منها الأطباق المفضلة لكونها تتلائم و افرازات التغير الاجتماعي، اما على المستوى الداخلي فانه قد حدث انفتاح من نوع خاص بين الثقافات المحلية تجلت مظاهره من خلال أنماط الغذاء التي تحولت الى أطعمة وطنية دالة على هوية المجتمع الجزائري، تعبر عن التماسك الاجتماعي والتقارب الشديد في الأذواق، بحيث نجد أصناف من الطعام بها نفس المكونات منتشرة عبر مختلف المناطق لكنها بتسميات مختلفة باختلاف الجغرافيا

والتضاريس وأشكال الحياة، كما انها تعد بنفس التقنيات المتوارثة عبر الأجيال لكنها تختلف في رمزيتها من منطقة لأخرى وهي دلالة على المكون الثقافي المتنوع ذو الجذور الممتدة في عمق الانتماء الجزائري، وأغلب أصناف الغذاء تعتمد على القمح كمكون اساسي، لعمق العلاقة التي تربط الفرد الجزائري بالقمح، ومن هذه الاصناف نجد "الرقاق" في منطقة الغرب ونفسه "التريد" في منطقة الشرق و"الطعام" هو الكسكس في العرب والبروشة في بسكرة و"العيش" في منطقة الوسطو غير ذلك من التنوع في الهوية الغذائية للمجتمع الجزائري.

إن تمثلات الأفراد للتغذية يختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك بحكم الثقافة الغذائية المتوارثة من جيل لآخر، فهناك مناطق معروفة في الجزائر باستهلاك اللحوم الحمراء كالهضاب العليا، بينما مناطق أخرى، تتنوع فيها مصادر الغذاء لوفرة المنتجات الحيوانية والنباتية لكن الملاحظ ان هناك تداخل يحدث بين أنماط التغذية بين مختلف المناطق، فلم الأمر كما كان عليه سابقا، فقد ساهمت وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي في تداخل أنماط التغذية، بين الثقافات الغذائية المحلية المتنوعة بفضل القنوات المتخصصة والعامة الموجهة للأسرة والتي تولي أهمية كبيرة لحصص الطبخ، بالإضافة إلى حركة السكان المتسارعة والتطور الذي عرفته الصناعات الغذائية في الجزائر وشبكات الطرقات وسلاسل التبريد التي تنتقل عبرها المنتجات الغذائية المصنعة بوتيرة سريعة بين مختلف المناطق، منها أصناف تقليدية تصنع محليا بشكل واسع مثل الكسكسي والرشة والديول والتليتلي والتشيشة وغيرها، وقد ساهمت الصناعة الغذائية في حدوث تقارب شديد بين مخلف المناطق على المستويين التجاري والاقتصادي، أما على المستوى الاجتماعي فان التمازج والتداخل الذي يحدث ناتج أيضا عن الدور الذي تلعبه الأسر المتصاهرة، بين مختلف المناطق مما سهل تناقل وتبادل أصناف الغذاء مثال على ذلك طبق "الرشة" الذي كان معروفا في منطقة الوسط ونجده اليوم على موائد الأسر بمنطقة الغرب...

8. الخبز والهوية



يشكل الخبز في نمط الاستهلاك لدى المجتمع الجزائري علامة اجتماعية وثقافية، فاللأنثربولوجيين يعتبرون بان الخبز يرتبط ببناء الهوية منذ الطفولة؛ وكذلك بالذاكرة؛ وبالمعتقدات والتمثيلات وبالجميل، والخير، وأنظمة القيم؛ وبالجسدي. وفي هذا الإطار ظلت الحبوب تشكل النمط الغذائي الأساسي في المجتمع التقليدي القبلي الذي كان سائدا في منطقة شمال أفريقيا منذ القرون الأولى التي عرفت استقرار الجماعات البشرية منذ العصر الحجري الوسيط وكذا بالكثافة السكانية مع نهاية مرحلة الترحال والتي تميزت بالتنوع في مصادر الغذاء بعد ازدهار تربية الحيوان وزراعة الحبوب، بحيث تعتبر علاقة سكان الجزائر بالحبوب ضاربة في عمق التاريخ وتشير المراجع التاريخية استنادا إلى المؤرخين الروم ومن جاؤو بعدهم أن القمح الذي كانت توجد به أراضي الجزائر في التاريخ القديم كان مصدرا اقتصاديا هاما بالنسبة لروما ويعد من بين أهم حبوب العالم واستخدم في لإنتاج السميد، وقد عرف سكان المغرب القديم القمح ومارسوا زراعة الحبوب قبل روما وقرطاج ويقول هرودوت "الشيء الملفت للانتباه هو وجود ثلاثة فصول لجني القمح في شمال افريقيا وكانت المسكوكات النوميديّة تزين بسنابل القمح فوق رؤوس ملوكها كشعار (المؤمن، 2010)، فقد ظل القمح الصلب والشعير أهم الركائز الغذائية وعنصرهما مهما في حركة الاقتصاد والتجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط واحد المكونات الأساسية للهوية بشكل عام، لكن هذه الوضعية لم تستمر لأسباب عدة من بينها ظاهرة الجفاف التي مست منطقة شمال افريقيا في العقود الأخيرة، مما اثر على مكانة القمح الصلب والشعير في النمط الغذائي، فقد تراجع الإنتاج من هذه المزروعات ذات الجودة والتنوعية وتراجع معه حضور كسرة الشعير والسميد في الغذاء اليومي لقلة الإقبال عليها في المدن المتخمة بالوافدين، كما أنها ظلت تمثل بالنسبة للسكان وضعا معيشيا صعبا فكان يطلق عليه خبز "العروبية" الذي كان يعنى بالنسبة لهم خبز الريف بكل ما يحمله من معاني للخشونة والكد والجهد من أجل توفير مستلزمات البقاء، مقابل الرغيف الفرنسي الذي كان يمثل وجها من أوجه المدنية والتحضر والعصرية على الطراز الأوروبي.

لقد تأثرت الهوية الغذائية بالتغير الذي طرأ على للوضع الاجتماعي والثقافي للمرأة وخروجها إلى الفضاء العمومي، حيث برز ذلك من خلال تراجع اعتماد الأسر على الشعير والسميد في صناعة الخبز المنزلي أمام وفرة الرغيف الفرنسي،، والانتشار الواسع للمخابز العصرية أوروبية المستوردة في الفترة الممتدة ما بين 1982 و2000 نالتي كان لها دور مهم جدا في الإبقاء على الرغيف الفرنسي لمدة أطول، بالإضافة إلى عدم الالتفات السياسات العامة إلى أهمية الحبوب ومكانتها في بناء الهوية للمجتمع الجزائري دورا مهما في ترك الفراغ أمام الانتشار الواسع للرغيف الفرنسي في الأرياف والمناطق الحضرية وشبه الحضرية، وبالتالي كان لزاما على الحكومات برمجت الخطط الاقتصادية على أساس توفير الحبوب سنويا بكميات هائلة وضع الجزائر في مقدمة الدول المستهلكة، كما ازداد الإقبال على استعمال الخمائر والمواد الكيميائية، وهو ما يراه البعض انحرافا وقع في القيم لاستهلاكية للمجتمع الجزائري الذي فقد في هذه المرحلة الكثير من مقوماته الأساسية تركا المجال لنماذج أخرى لتسود حاملة معها مخلفاتها وأعراضها الجانبية على الصحة العمومية، لكن البعض الآخر يرى بان ما أصبح يعرف اليوم بالخبز التقليدي لا يزال يقاوم الاندثار من خلال تقييم العمل المنزلي عبر المخابز التقليدية، فقد عاد خبز السميد عبر المؤسسات المصغرة وعمل المرأة المنزلي ليزاحم الرغيف الفرنسي في المحلات، بينما لا تزال الأعياد الدينية والثقافية مواعيد للغذاء التقليدي المعبر عن عمق الهوية الغذائية للمجتمع الجزائري.

يرتبط حضور الخبز في حياة للجزائريين بمرحلة من الاجتثاث الذي وقع للثقافة الغذائية في فترة تواجد الاستعمار الفرنسي، لأن استهلاك مادة القمح اللين أو ما يسمى ب"الفرينة" بشكل واسع فرضته الظروف التاريخية، فما هو إلا مظهر من مظاهر إعادة إنتاج واقع اجتماعي أصبح فيه الخبز غذاء لسد رمق شريحة واسعة من المجتمع، لكونه سهل الحصول عليه بالنسبة للأسر القاطنة على تخوم المدن الكبرى وفي الأرياف، فالخبز يتجاوز بالنسبة للجزائريين في مختلف فترات الأزمات وعدم الاستقرار الاقتصادي حدود كونه غذاءهم اليومي، فهو ذو بعد رمزي للمعيشة، كما أن "الخبزة" تعني أيضا بالنسبة للفرد المعيشة والأجر والعمل والاستقرار وجميع ما يدل على وضع معيشي صعب

ومتأزم،تزداد حدة الأزمة وتقل وفق دائرة أسعار النفط ،فالمعاناة مع المعيشة أخذت شكلا دوريا بين التضيق والانفراج،و معها ظل الخبز ملازما لنمط الغذاء ومرافقا للفرد الجزائري ،في هذا الإطار يمكن اعتبار علاقة الفرد بمادة الخبز نتاجا لأوضاع غير المستقرة،،مما زاد من شدة ارتباط الأجيال المتعاقبة بها،فلا يمكن الحديث عن الهوية الغذائية للمجتمع الجزائري من دون الإشارة إلى إعادة إنتاج المستهلكين للخبز في الحياة اليومية،أملتھا التقلبات السياسية والاقتصادية بل حتى الحضارية،بحيث يشير التقرير الخاص بالمخطط الوطني للتغذية إلى أن الاستهلاك الوطني من الحبوب عوض النقص الكبير المسجل في اللحوم في فترة عرف فيها الاقتصاد الوطني أزمات حاد (ministere de la santé et de la population، 1994)، فالواقع الغذائي بنظامه القيمي المعقد افرز واقعا صحيا متشابكا لان الحديث عن استهلاك الخبز في الجزائر ومدى ارتباطه بالوضعيات المتأزمة يقودنا للحديث عن الوفرة والكمية،و كيف أن استهلاك الخبز بالكميات الكبيرة لدى الأسر الجزائرية يبقى إحدى السمات البارزة في ثقافتها الغذائية، فقد لعب القمح اللين المستورد والمدعم دورا مهما في زيادة معدلات الاستهلاك مدعوما بصعوبة الاكتفاء من الخضر واللحوم،،فساهم رغيف القمح اللين في سد الرمق لدى شريحة واسعة منذ سنوات الثمانينيات ،لكن في نفس الوقت وضع المستهلكين أمام مخاطر الإصابة بالسكري وأنواع من السرطانات،خاصة وان نمط الاستهلاك المتميز بالكمية المرتفعة من الخبز باتت تهدد بارتفاع أعداد المرضى سنويا حيث تسجل الجزائر أزيد من أربعة ملايين مصاب بالسكري في المناطق الريفية والمدن وفي المقابل يستهلك الجزائريين أزيد من 48 مليون خبزة يوميا،بينما يرتفع هذا العدد بكثير خلال شهر رمضان.

9.السكري والتشنه الغذائية الأسرية

لا شك أن الحديث عن علاقة الفرد في المجتمع الجزائري بمادة السكر مرتبط بالدرجة الأولى بالتنشئة الأسرية،حيث يعتبر السكر من أهم ما تقدمه الأمهات لأطفالهن في السنوات الأولى التي تلي فترة الرضاعة،فقد اعتاد الأطفال على المصاصات المطاطية المحشوة بالسكر تقدمها الأم لإسكات بكاء الطفل،وهي بذلك تعود على السكر مبكرا جدا،فيعزز ارتباطه في مراحل نموه المتتالية بكل ما حلو الطعم ويصبح المذاق الحلو



عادة لا يمكن الاستغناء عنا أو كما يسعى بذاكرة المذاق الحلو التي ترسخ فيما بعد وتظهر من خلال البناء القيمي الذي يتجسد في الممارسات اليومية الخاصة بالغذاء، وهذا ما يمكن أن يوضح لنا، العلاقة الخاصة و المتميزة التي تربط بين الفرد الجزائري والسكر، فنجد اغلب المنتجات المصنعة محشوة بكميات مبالغ فيها من مادة السكر، عملا بالتوصيات التجارية القائلة بان الجزائريين يحبون السكر، وهو ما يفسر احتواء المشروبات الغازية والعصائر والحلويات على كميات هائلة من مادة السكر، إذا نحن أمام سيرورة ممتدة في عملية تهيئة الفرد من حيث بناء طرق الإحساس ونماذج التفكير والتصرف وترسيخ للقيم والمعايير المتوارثة، فقد أصبحت التنشئة على مستوى الأسرة، تهتم أيضا بتثبيت أنماط التغذية ونماذج الاستهلاك، ما أصبح اليوم من بين أهم انشغالات الأسرة والمدرسة والدولة لما لها من تشعبات تمس الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصحية، فقد توارثت الأسر أنماط التغذية من جيل إلى آخر متأثرة بالظروف السائدة، فالحديث عن مكانة السكر في الأفراد مرتبط بـسيرورة من التنشئة الاجتماعية تبدأ من الأسرة وتشمل باقي المؤسسات الاجتماعية. فقد جرت العادة أن تجلب العروس معها قالب السكر كرمز للمودة والعطاء وحسن العشرة، وستبدل قالب السكر في السنوات الأخيرة بأطباق الحلويات التقليدية والعصرية تجلبها معها العروس ليلة زفافها، وهي عبارة عن عادات تختلف في أشكالها من منطقة لأخرى لكن الثابت في سيرورة التغير الذي طرأ على العادات هي مادة السكر، هذه الأخيرة التي عرفت زيادة في حجم الاستهلاك الوطني حيث تصنف من بين أكثر المواد استهلاكاً بعد الحبوب، فهي تمثل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الصناعات الغذائية في الجزائر، ومادة لا يمكن الاستغناء عنها فنجدها في المشروبات الغازية و العصائر والأطعمة المعلبة والوجبات السريعة.

يعرف المطبخ الجزائري بشتى أنواع الحلويات والأطباق الحلوة والمشروبات المحلاة، وهو من المطابخ المعروفة بالحضور الكبير للسكر كمادة أساسية في الوصفات البسيطة منها ذات الاستهلاك اليومي والتي تدخل في خانة الأطباق المناسباتية، فاستهلاك السكر في تمثالات الأفراد مرتبط بالفرح والعيد والمناسبة وما يسعى أيضا بـ"اللمة" وهي



المناسبة التي تجتمع فيها العائلات وغالبا ما تكون اللقاءات الأسرية والفرح كالأعراس والحفلات، يشكل فيها السكر اكبر الحاضرين في أصناف الطعام الذي يقدم للحضور، بل حتى في الجنائز يكون فيها السكر حاضرا، وبالتالي فان هذه المادة الغذائية ارتبطت في المجتمع الجزائري بطقوس الفرح والحزن، هذه المعطيات تمنحنا تفسيراً منطقياً لأسباب ظاهرة السمنة وتفشي الأمراض المزمنة وفي هذا السياق تشير الدراسات التي أنجزت حديثاً حول الأمراض المزمنة وعلاقتها بالنظام الغذائي في الجزائر بان 57 بالمائة من المصابين بالسرطانات على اختلاف أنواعها يعانون من السمنة وزيادة الوزن، فأكثر من 46.5 (MOHAMED I., 2022) بالمائة من المصابين يستهلكون المشروبات الغازية والحلويات، وهي دلالة كلها دلالات على ارتباط الوثيق بين مخلفات التغير الذي طرأ على الهوية الغذائية وتدهور الوضع الصحي في المجتمع الجزائري .

10. خاتمة: الوعي بالاستهلاك الآمن

يزداد الوعي في المجتمع الجزائري بمخاطر الغذاء غير الصحي وذلك تحت تأثير السلطة البيو- طبية التي تقود عبر وسائل الإعلام معركة هوجاء ضد الأطعمة المصنعة والأكلات السريعة والسكريات لعلاقتها المباشرة بالأمراض الخطيرة كالسرطان والسكري والفشل الكلوي، وتساهم في ذلك على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي، من أجل التأثير على علاقة الأفراد بالغذاء، فالاستهلاك الحذر بدأ يأخذ مكاناً أوسع مما كان عليه الأمر في السنوات الماضية على مستوى الأسرة والمدرسة ، وظهرت معالم الخوف الجماعي من التغذية غير الصحية خاصة وان التقارير العلمية التي تنشر باستمرار على وسائل الإعلام تؤكد العلاقة الوثيقة بين نمط الغذاء والسرطان بمختلف أنواعه، خاصة منه سرطان القولون والمستقيم و المعدة عند الرجال وسرطان الثدي والرحم عند المرأة، هذه المعلومات بدأت تؤثر بشكل كبير على تمثلات الأفراد للتغذية، ولاشك أن البدانة أو السمنة في الجزائر لم تعد مشكلة فردية وإنما مشكلة مجتمعية، ويشار بأصابع الاتهام إلى الغلوتين والربوتينات والكربوهيدرات، وأصبحت هوية الفرد تحددها ما يتفاده من أغذية، فمريض القولون يتفادى الأطعمة، فقد أكد مباحوث أنه مقرر التخلي عن المشروبات الغازية والتقليل قدر الإمكان من الخبز في الوجبات اليومية، مخافة الإصابة بنوبات

السكري،،في وقت تشهد فيه المجتمعات في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية ذات مؤشرات التنمية البشرية المرتفعة سباقا لتحقيق الرفاهية الغذائية والصحية عبر البرامج الدعائية التي تركز على التقليل من الكربوهيدرات تعاني المناطق الحارة ذات مؤشرات التنمية البشرية المنخفضة من ارتفاع في استهلاك الكربوهيدرات التي يحتويها النظام الغذائي لشريحة عرضية من السكان،

إن للمرأة في المجتمع الجزائري دور أساسي في نقل الهوية الغذائية للأبناء،فكما هو معروف تأخذ المقبلات على الزواج ملامح هويتهم الغذائية في المؤسسة الأولية الأسرة التقليدية الممتدة في الجزائر و تناقلها إلى استرها الجديدة التي تأخذ منها و تأثر فيها،فحن امام عملية استنساخ متواصلة عبر الزمن لهوية غذائية صمدت في المجتمع الجزائري بالرغم من مقتضيات التغير الاجتماعي، الا انه في السنوات الأخير وعلى وقع افرازات العولمة التي محت الحدود وأعادت تشكيل أخرى،وقع إعادة تشكّل للنمط الغذائي بين الأجيال ،وظهرت بذلك حدة التأثير في هذا السياق تدخل مؤسسات تنشئية أخرى في مجال بناء المستهلك و نمط الغذاء السائد في المجتمع من بينها الفضاء الأزرق،حيث تساهم وسائل التواصل الاجتماعي بقدر كبير في دفع ربات البيوت أو حتى أرباب البيوت نحو اكتشاف كل ما هو جديد في عالم الطبخ متأثرين بعدة عوامل من بينها ارتفاع تكاليف الأطباق التقليدية بشكل ملفت للانتباه في السنوات الأخيرة مما أدى بالأسر إلى البحث عن أطباق اقل كلفة و في هذا الإطار أكد لنا احد المبحوثين وهي ربة بيت عاملة" ألجأ إلى الانترنت بحثا عن وصفات اقتصادية لأن التقليدية منها مثل الكسكس و غيره لم يعد غذاء الفقراء كما كان سابقا،أبحث عن ما هو اسهل و غير مكلف ويلقى الاقبال من طرف أفراد الاسرة" ن نجد في هذا

أصبح لوسائل التواصل الاجتماعي والقنوات التلفزيونية دورا مؤثرا في تداول المعلومات الصحية حول مخاطر الغذاء المصنع،تشكل قيم غذائية جديدة وثقافة ترفض كل ما يحمل في طياته مخاطر على صحة الفرد،وبالمقابل بدأت تتشكل كيانات ثقافية في المجتمعات الصناعية تقوم على ترقية ما يعرف اليوم بالأكل العضوي (البيو) أو الطبيعى الخالي من الأسمدة والمضافات الكيماوية والمحسنات الغذائية كاللون

والمذاق، وتدعو إلى تجنب الأكل السريع والحد من هيمنة السكر والملح على نمط الغذاء باعتبارهما مصدرا أساسيا للمرض، هذه القيم التنشؤوية بدأت تجد لها مكانا في المجتمع الجزائري ولو بشكل بطيء، إلا أن الغذاء العضوي الخالي من الاسمدة لم يرق بعد إلى اهتمام الافراد، وذلك لعدة اعتبارات من بينها الصعوبات الاقتصادية التي تعاني منها الأسر بسبب مشكل الندرة الموسمية وغلاء الأسعار، بحيث لا يمكن الحديث اليوم عن الغذاء العضوي في وقت لا تزال الدولة تسعى إلى توفير الغذاء من خلال حل مشاكل المزارعين والحد من فوضى الأسواق.

المراجع :

خلدون، ا. (808/732 هـ). مقدمة ابن خلدون .

fao. (2019). نظرة عامى حول الامن الغذائي و التغذية في شمال افريقيا. القاهرة: منظمة الاغذية و الزراعة.

محمد بن عبد المؤمن. (2010). قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسة. دورية كان التاريخية. ، 39.

chikhi, k., & martine, p. (2014). l'alimentation en algerie.qu'elles formes de modernité. *New Medit* , 56-57.

Dupuy, Anne(2013) *Penser la socialisation et la socialisation alimentaire . Plaisirs alimentaires*, Presses universitaires François-Rabelais, <https://doi.org/10.4000/books.pufr.22755>.

Fournier, T., Julie, J., Nathalie, L., & Priscille, T. (2015). L'alimentation, arme du genre. *journal des anthropologues* .

GARINE, I. D. (1988). anthropologie de l'alimentation et pluridisciplinarité. *ecol.hum* , 6 N 02, 21.

Genevieve, C., & Mebtoul, M. (2010) *famille et santé*. Rennes: Presses de l'EHESP,.

Haziza, T. (2019). Alimentation et identité. (P. u. Caen, Éd.) *kentron* (35), 23.

ministere de la santé et de la population. (1994). *plan d'action national pour la nutrition*. journal algerien de médecine.

Parsons, T. (2005). *The social system*. london: Routledge is an imprint of the Taylor & Francis Group.

GARINE, I. D. (1988). anthropologie de l'alimentation et pluridisciplinarité. *ecol.hum* , 6 N 02, 21.

MOHAMED I., I. (2022). Dans Nutr.Santé (Éd.), .11. N°01, p.

Terray, E. (2010). La vision du monde de Claude Lévi-Strauss. *l'homme* . (<https://journals.openedition.org/lhomme/24346>, Éd.)
Récupéré sur <https://journals.openedition.org>.